



المتشابه القرآني بين مدرسة ال البيت (عليهم السلام) ومدرسة اهل السنة والجماعة

م.م سعود شنيار خفي وادي السعيدى¹

¹ جامعة الشرطة كلية التربية - العراق

swdshnyaralsydy@gmail.com

ملخص. تعد يحتوي القرآن الكريم على آيات واضحة لا لبس فيها (محكم) وآيات مجازية (مجازية) تتطلب تفسيراً دقيقاً. وتختلف مدارس التفسير القرآني في فهمها لهذه الآيات المجازية. فمذهب اهل البيت (عليهم السلام) يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن نفسه وأحاديث الأئمة المعصومين، مركزاً على المعاني الروحية والباطنية. في المقابل، يركز المذهب السني على المعنى الظاهر والنحوي للآيات، مفسراً إياها وفقاً للشرعية الإسلامية والسنة النبوية. ورغم الاختلافات المنهجية، توجد نقاط التقاء رئيسية، أهمها: اعطاء الأولوية للقرآن، وضمان الاتساق بين الآيات، والاعتماد على السنة لتوضيح الآيات المجازية. وهذا يُبرز ثراء القرآن وشموليته، إذ يجمع بين المعاني الروحية والفقهية.

Abstract. The Holy Quran contains verses that are clear and unambiguous (muhkam) and verses that are allegorical (mutashabih), requiring precise interpretation. Schools of Quranic exegesis differ in their understanding of these allegorical verses. The school of Ahl al-Bayt (peace be upon them) relies on interpreting the Quran with the Quran itself and the hadiths of the infallible Imams, focusing on spiritual and esoteric meanings. In contrast, the Sunni school focuses on the literal and grammatical meaning of the verses, interpreting them in accordance with Islamic law and the Prophetic Sunnah. Despite the differences in methodology, there are key points of convergence, most importantly: prioritizing the Quran, ensuring consistency between verses, and relying



on the Sunnah to clarify allegorical verses. This highlights the richness and comprehensiveness of the Quran, encompassing both spiritual and legal meanings.

المقدمة

القران الكريم هو كلام الله، والقانون الالهي الذي يرشد الناس اجمعين في هذه الدنيا كي يكونوا اهلا لولج الطريق المستقيم في الآخرة.. لذا تحتم ان يكون محتويا على ما يناسب العقول البشرية المتطورة، غير ان الذي يود كشف بعض حقائقه ومعرفة كنهه، فان ما لديه من تفاسير تلجئه الى ان يتوغل في مهامه وعرة يصعب على فحول اللغة اكتناه اسرارها وكشف معمياتها، وهو كلما درس احد التفاسير ازداد تيهها على تيه، ولهذا اقتصر رجالنا السابقون على دراسة بعضها والاكتفاء به.

المتشابه من القران هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجي دركه اصلا، كالمقطعات في اوائل السور. الايات المتشابهات هي الايات القرانية المتشابهة التي تحمل اكثر من تفسير، يقول الله تعالى في سورة ال عمران {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}، في هذه الاية بداية ونهاية فرع من علوم القران الكريم نجده يبدأ منها وينتهي عندها، اذ احتوت كلماتها على المحكم ويقابله المتشابه، والراسخون في العلم يقابلهم الذين في قلوبهم زيغ، ومن هذه الاية كانت بداية تعريف كل من المحكم والمتشابه.

1. مفهوم المتشابه لغةً واصطلاحاً

المتشابه لغةً هو المماثل والمشاكل، من الشبه والاشتباه الذي يعني التباس الامر لشدة تقارب شيئين، بينما اصطلاحاً في علوم القران هو الايات التي لا يفهم معناها بظاهرها، او التي استأثر الله بعلمها، او التي تحتاج الى تفسير ورد الى المحكم لبيان مرادها، ومثاله صفات الله والحروف المقطعة. (الطريحي، 1365 هـ: 6/ 350)

1.1. المتشابه لغةً

اختلفت المعاني الوضعية لكلمة "المتشابه" في المعاجم اللغوية اختلافا كبيرا، لحد التضارب والتناقض بين مفهوم لغوي واخر، ويمكن حصر الدلالة المعجمية لهذه المفردة في النقاط الاتية:

(1) المتشابه بمعنى المثل:

يحلل ابن فارس (ت395هـ) الاصل اللغوي لكلمة (المتشابه) والمشتقة من الجذر اللغوي - شبه - قائلا: "الشين والباء والهاء يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا وصفة". (ابن فارس، 1979: ج3/ ص 243)، فالشبه مأخوذ من مطابقة الشيء لنظيره (مثيله) من عدة أوجه اللون، الصفة. ويفصل الراغب الاصفهاني (ت450هـ) ما ذهب اليه ابن فارس قائلا: الشبه والشبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم والعدالة والظلم، والشبهة هو ان لا يتميز احد الشئيين عن الآخر، لما بينهما من المتشابه عينا كان (الراغب الاصفهاني، د.ت: 331) فالمعنى الاول للشبه هو التماثل والتضارع بين الشئيين من عدة أوجه (لون، ماهية، طعم) ويتسبب هذا التماثل والتضارع بالشبهة بين الشئيين.

اما ابن منظور فيضع للمتشابه عدة معان تتداخل معظمها فيما بينها، فيقول مفصلا: > تشابه الشئيان اشبه كل واحد منهما صاحبه، والمشتبهات من الامور المشكلات، و المتشابهات المتماثلات، وامور مشتبهة مشكلة يشبه بعضها بعضا (ابن منظور، 1984: ج13/ 503-504) ففسر المتشابه من زاويتين:

ا- تشابه المتشابهات: - بمعنى التماثل اي التوافق في نقاط معينة ب- مشتبهة، المشتبهات: ما التبتت بسبب اوجه التماثل والتطابق، حتى عسر التمييز والتقريب بينهما. ويلاحظ مما سبق ان التغيير في حروف الزيادة في الصيغة الفعلية لكلمتي شبه وتشابه ادى الى تغيير في المعنى.

اشبه ← تشابه

ب- المتشابه بمعنى الالتباس: اقتضت الدلالة الوضعية لكلمة المتشابه لدى الزمخشري على معنى الالتباس، فيقول: "تشابه الشئيان واشتبها اذا اشبهت الامور وتشابهت التبتت لاشتباه بعضها بعضا". فيقع الالتباس من تشابه الامرين، وتوافقهما في جوانب معينة، ويكون التشابه - من هذه الزاوية - بمعنى الالتباس؛ اي عدم المقدرة ع التمييز بين الشئيين لشدة تشابههما وتوافقهما.

ج - المتشابه بمعنى الغموض

يوضح ابن قتيبة (ت267هـ) معنى المتشابه قائلا: (يقال لكل ما غمض متشابه)

فالغموض هو نتيجة محصلة عن نشوء الالتباس بين الامور وصعوبة التفريق بين المتشابهين (ابن قتيبة، 1954: 102).

ويستنتج الباحث والقارئ مما سبق ان المعنى اللغوي للمتشابه يتراوح بين ثلاث دلالات متداخلة فيما بينها، ومتعلقة مع بعضها بعضا (التمائل، الالتباس، الغموض) وهذه المعاني الثلاثة لا تتفصل عن بعضها؛ فالاولى مسببة للثانية، والثالثة حصيلة الثانية، لان التشابه هو التماثل بين الشيئين في عدة جوانب، وهذا التماثل يؤدي الى الالتباس ذو صعوبة التفريق بين الشيئين، نظرا لتطابقهما نسبيا، ولا ينتج الغموض الا في حالة الالتباس، والعجز عن التمييز.

1.2. المتشابه اصطلاحا:

قال السيوطي (والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في اوائل السور، والمتشابه ما احتمل اوجها والمتشابه بخلافه كاعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان. والمتشابه ما لا يستقل بنفسه الا برده الى غيره. والمتشابه ما لا يدري الا بالتأويل. وما تكررت مفرداته المتشابه والمتشابه القصص و الامثال وقيل: المحكم ما وضع معناه والمتشابه نقيضه. والمتشابه هو: الذي لا يفهم معناه من لفظه، ويحتاج الى دليل اخر يفسره، كالناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والمتشابه هو الذي يخفى معناه، فلا يعلمه الناس). (السيوطي، 1994: 225) وان المتشابه: ما قد يشتهبه ظاهره، او يخفى المارد منه، وان الواجب ان يقال:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران:

(7)

وقيل ان المتشابه ما لا يعلم تأويله الا الله كوقت قيام الساعة والمتشابهات ما تحتاج الى ان يبينها غيرها كالمنسوخ والمجمل بنوعيه. والمتشابه ما له دلالة غير واضحة، فيدخل في المتشابه المجمل والمشارك.

وفي المتشابه هو غير المتضح المعنى، وهو كالاول، ويندرج في المتشابه ما تقدم

والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه. (الشوكاني، 1999: 90/1)

والمتشابه هو غير معقول المعنى، وقيل غير ذلك

لعل احدهم يتساءل "ان القرآن انما انزل للهدى والبيان فكيف اشتمل على المتشابه؟"

قيل: ما الحكمة في انزال المتشابه ممن ارد لعباده البيان والهدى؟

قلنا: ان كان مما يمكن علمه فله فوائد: منها: ليحث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث

عن دقائق معانيه فان استدعاء الهم لمعرفة ذلك من اعظم القرب، وحذرنا مما قاله المشركون:

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ مُقْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف: 23) وليمتحنهم

ويثيبهم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ (سورة الروم: 27)



اقسام المتشابهة: -

التشابه في بعض آيات القرآن الكريم ثلاثة أنواع: الأول: التشابه من جهة اللفظ وهو ما كان خفاء معناه ناشئاً من جهة اللفظ وهو نوعان:

١- تشابه لفظي يرجع الى المفردات:

اما لغرابتها وقلة استعمالها مثل قال تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (سورة عبس: ٣١) وقوله تعالى ﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾

واما لجهة الاشتراك اللفظي كالقراء في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (سورة البقرة: 228) حيث يطلق على الحيض والطمهر، ومثل عسعس في قوله تعالى: ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ (سورة التكويد: 17) فانه يطلق على اقبال الليل وادباره.

ب - تشابه لفظي يرجع الى التركيب للالفاظ وهي الجمل: وهو ثلاثة اقسام:

الأول: الاختصار الكلام

كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (سورة النساء: ٣) والمعنى الا تقسطوا في اليتامى اذا تزوجتموهن.

الثاني: بسط الكلام

كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١) ففي ذكر الكاف بسط للكلام ولو قال ليس شيء لظهر المعنى فاشتبه المراد بذكرها مع ظهور المعنى بدونها.

الثالث: نظم الكلام

كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (سورة الكهف: 102) فجاءت جملة: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فاصلة بين الصفة والموصوف واصل الكلام: انزل على عبد الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (فهد الرومي، 2003م: 1 / 396)

واورد ابن الجوزي (البرمكي، 1989: 4 / 837) في المتشابه اللفظي انواع كثيره جدا من القرآن في كتابه فنون الافنان باب ابواب المتشابه وللقارئ الرجوع اليه للفائدة. ومن الجدير بالذكر ان هذا النوع من المتشابه قد تناوله علماء الدراسات القرآنية تحت تسمية مختلفة، ولعل ذلك يرجع الى زيادة في البيان والايضاح (الجوزي، م: 8 / 426).



الثاني: التشابه من جهة المعنى

المتشابه من جهة المعنى: اوصاف الله تعالى، ووصاف يوم القيامة، فان تلك الصفات لا تتصور لنا اذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، او لم يكن من جنس ما نحسه (اسماعيل، ١٩٩٩م: 8 / 812)

الثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى

قال الراغب الاصفهاني وهو خمسة انواع:

الاول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو قال تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الْفُلُوكَ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (سورة التوبة: 5)

الثاني: من جهة الكيفية كالجود والندب نحو قال تعالى: ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (سورة النساء: 3)

الثالث: من جهة الزمان؛ كالناسخ والمنسوخ؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (سورة ال عمران: ١٠٢)

الرابع: من جهة المكان كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (سورة البقرة: 189)

وكقوله تعالى: - ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (سورة التوبة: 37)

فان من لا يعرف عادة اهل الجاهلية في ذلك يتعذر عليه تفسير هذه الآية

الخامس: - من جهة الشروط التي يصح بها الفعل او يفسد كشرائط الصلاة والنكاح. وكل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم (الاصفهاني، مرجع سابق: 8 / 333)

2. المتشابه عند مدرسة اهل البيت (عليهم السلام)

لقد عرض الطباطبائي في تفسيره الميزان لوجوه الراي في المحكم والمتشابه، وقد بلغت عنده اكثر من اربعة عشرة وجها، في حين بلغت عند غيره اكثر من عشرين وجها على ما يذكر صاحب تفسير الامثل، «الشيرازي» (الشيرازي، 2007: 2 / 199) وهذا ان كان يدل على شيء، فانه يدل على مدى استيعاب صاحب تفسير الميزان لوجوه الراي، وحقيقة الاختلاف في علم المحكم والمتشابه وغيره من علوم القرآن ما حتم عليه ان يعيد النظر فيما انتهى اليه القوم، ويقوم وفقا لمنهجه في التفسير باستخلاص الراي، والتعريف بحقيقة المشكلة التي تسببت بهذا الكم الهائل من التفسيرات لحقيقة المحكم والمتشابه، هذا فضلا عما اختلفوا فيه لجهة تفسير او تاويل المتشابه والغاية منه، ذلك هو الموقف الذي سنحاول استخلاصه مما عرض له

الطبائبي في تفسيره، لنرى ما اذا كان قد خلس الى نتيجة منشودة في هذا المجال، وما اذا كان المفسر قد اضاف رؤية ومذهباً جديداً الى من سبقه من المفسرين؟ ولكن الانصاف يقضي القول بان المفسر حقق نتائج باهرة في بحوثه، اذ انه استطاع كما بينا في مقدمة هذا البحث الفصل بين المحكم والمتشابه وبين التاويل، والذي كان الخلط بينهما سبباً في شدة الاختلاف واشتداد الانحراف، وقد انسحب هذا النزاع والمشاجرة الى الصدر الاول من مفسري الصحابة والتابعين، وكما يرى الطبائبي، ان السبب العمدة في ذلك كان عدم التمييز في البحوث بين المحكم والمتشابه والتاويل (الطبائبي، مرجع سابق: 37/3) فكان على المفسر كما ينسب لنفسه ان يحدث هذا الانفصال ليخرج المتشابه من دائرة التاويل ويضعه في ما خصه القرآن به من عودة الى المحكم، الذي هو اصل الكتاب، وام الكتاب، فيرتفع التشابه، وهو انما يرتفع بتفسير المحكم له، واما كون المنسوخات من المتشابهات، فهو كذلك، ووجه تشابهها ما يظهر منها من استمرار الحكم وبقائه، ويفسره الناسخ ببيان ان استمراره مقطوع... (الطبائبي، مرجع سابق: ٧٩)

وقبل ان نعرض لوجه الرأي التي توقف عندها الطبائبي فيما يخص هذا المبحث، لا بد ان نتوقف قليلاً عندما تواتر الحديث عنه من اسئلة حول المتشابه والحكمة من وجوده في القرآن، وذلك بعد ان المحنا الى وجهه من الرأي، بان هناك من قال: ان القرآن كله متشابه، او انه لا متشابه في القرآن الى غير ذلك مما اختلف فيه قديماً وحديثاً. وكان السؤال الابرز في سياق المحاجة انه اذا كان المطلوب هو الهداية وعموم الهداية، فلما هذا المتشابه، وقد اجاب الطبائبي على كثير من هذه الاسئلة بما هو معهود منه من الحكمة والتدبر في القرآن، فقال: ان الهداية الدينية لا تختص بطائفة دون طائفة من الناس، بل تعم جميع الطوائف والطبقات، وهذا ظاهر في الكتاب، واذا كان ثمة اختلاف في الافهام وعموم امر الهداية، فذلك مما يمكن التعرف اليه من مساق الامثال في القرآن بما ضربه. (معرفة، 2012: 445-450)

الله تعالى من الايات عن طريق الاشارة والكناية والتشبيه، حيث قال تعالى: ﴿انزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ اَوْدِيَةً يَقْدِرُهَا فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذٰلِكَ يَصْرِفُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَصْرِفُ اللّٰهُ الْاُمَثَالَ﴾ (سورة الرعد: 17) وبالجمله، كما يرى الطبائبي ان المتحصل من الاية القرآنية، ان المعارف الالهية كالماء الذي انزله الله تعالى من السماء هي في نفسها ماء فحسب، من دون تقييد بكمية ولا كيفية، ثم انها كالسيل السائل في الاودية تتقدّر باقدار مختلفة من حيث السعة والضيق وهكذا هو النور والعلم والحق وكل شيء انزله الله تعالى. فالناس ينقسمون فيه، ويصدّرون عنه بحسب ما يكون لديهم من استعدادات لتلقي هذه الفيوضات والمعارف، اذ لا بخل في ساحتها، ولا نقص في خزائنها، وكما يقول الطبائبي:

«ومصالح الاحكام هي روابط تربط الاحكام بالمعارف الحقّة، وهذا حكمها في نفسها مع قطع النظر عن البيان اللفظي، وهي في مسيرها ربما صحبت ما هو كالزبد يظهر ظهوراً ثم يسرع في الزوال، وذلك كالأحكام المنسوخة التي تتسخه النواسخ من الآيات، فإن المنسوخ مقتضى ظاهر طباعه ان يدوم لكن الحكم الناسخ يبطل دوامه ويضع مكانه حكماً آخر، هذا بالنظر الى نفس هذه المعارف مع قطع النظر عن ورودها في وادي البيان اللفظي (الطباطبائي، مرجع سابق: 73/3)

هذا بخصوص ما قد يرد من سؤال بشأن الهداية والمراد من التشابه في القرآن. اما عن وجوه الراي فيما خلص اليه اهل التفسير، والتي تجاوزت العشرة اراء، فإن الطباطبائي يلخص هذه الوجوه على النحو الذي يؤدي الى المقصود من عرضها وبيان مقاصدها فيما رآته من قوله وحق في المحكم والمتشابه. وهنا تجدر الإشارة ايضاً الى ان الطباطبائي، وقبل ان يعرض لوجوه الراي، وبهدف بيان موقفه ونتائج بحثه، يؤسس لعرضه بما عنون به منهج تفسيره بان القرآن ليس فيه اختلاف، وهو يفسّر بعضه بعضاً، يقول: «ان كل من يتدبّر في آيات الله من اوله الى آخره، لا يشك في ان ليس بين هذه الآيات اية الا وفيها دلالة على المدلول، اما مدلول واحد لا يرتاب فيه العارف بالكلام، او مداليل يلتبس بعضها ببعض، وهذه المعاني الملتبسة لا تخلو من حق المراد بالضرورة والا بطلت الدلالة، وهذا المعنى الواحد الذي هو حق المراد لا محالة لا يكون اجنبياً عن الاصول المسلمة في القرآن كوجود الصانع وتوحيده، وبعثة الانبياء وتشريع الاحكام والمعاد ونحو ذلك، بل هو موافق لها، وهي تستلزمه وتنتجه وتعين المراد الحق من بين المداليل المتعددة المحتملة. فالقرآن بعضه يبين بعضاً، وبعضه اصل يرجع اليه البعض الآخر...» (الطباطبائي، مرجع سابق: 25)

ثم ان الطباطبائي فيما يؤسس له في معنى المحكم والمتشابه في القرآن، هو ينطلق في تاسيساته في ضوء حكمه على مناهج المفسرين الذين لم يهتدوا الى المنهجية السليمة، التي تؤهلهم للكشف عن حقائق هذا العلم، وقد استفاد الطباطبائي مما عرضوا له، لكن لا على نحو التقليد والرواية، وانما على نحو الدراية، باعتبار انه وجد الخلل في مناهج المفسرين فآثر ذلك ايجاباً على رؤيته، ما جعله قادراً على تجاوز مناهجهم ليكون له منهجه الخاص في تفسير القرآن. ومن هنا جاء تاثير علوم القرآن كافة على منهجه، فكان منهجاً قرانياً متميزاً اخذ بعلوم القرآن الى القرآن بمنهج القرآن، ولم يآخذ بالقرآن الى ما اسسوا له في علومهم ولم يسلم من اجتهادات الراي، وروايات حكم على كثير منها المفسر بالتضارب والسقوط وفقاً للقرآن فيما ركز عليه من سياق ودلالة وتفسير وتاويل. (هنديجاني فرد، 2013م)



لقد احكم المفسر منهجه في علم المتشابه والمحكم من خارج علم التاويل، كاشفا عن ان هذا العلم هو لكل القران، اما فيما يخص المحكم والمتشابه، فان دليله هو قول الله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتَابِ وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (ال عمران: 7)

قلنا: وجهه احد امرين - الكلام للطباطبائي - فان المعارف التي يُلقِيها القران على قسمين: فمنها معارف عالية خارجة عن حكم الحس والمادة، والافهام العادية ولا تلبث دون ان تتردد فيها بين الحكم الجسماني الحسي، وبين غيره كقوله تعالى: ﴿اِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾ (سورة الفجر: 14)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (سورة الفجر: 22)، فيتبادر منها الى الذهن المستانس بالمحسوس من الاحكام معانٍ هي من اوصاف الاجسام وخواصها، وتزول بالرجوع الى الاصول التي تشتمل على نفي حكم المادة والجسم عن المورد، وهذا مما يطرد في جميع المعارف والبحوث غير المادية والغائبة عن الحواس... (الطباطبائي، مرجع سابق: 25/3)

بالتاكيد ليست هذه هي التاسيسات الوحيدة التي ارتكز اليها الطباطبائي في مناقشة اراء المفسرين في المحكم والمتشابه، بل هناك الكثير، ولكننا اخترنا هذا التاسيس باعتباره الاصل والمركز في تفنيد ارائهم، وهو الاصل الذي دعا الله تعالى الى الاحتكام اليه في فهم المتشابه ولهذا، نجد المفسر يطالعنا في بحث المحكم والمتشابه بالايات القرآنية دون غيرها، وقد ابتدا كلامه بان الاحكام والتشابه من الالفاظ المبيّنة المفاهيم في اللغة، وقد وصف بهما الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ اُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (سورة هود: 1)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾ (سورة الزمر: 23)، لكن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتَابِ وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (ال عمران: 7)، لما اشتمل على تقسيم ايات الكتاب الى محكم ومتشابه، علمنا ان المراد بالاحكام والتشابه غير ما يتصف به تمام الكتاب، فكان من الحري البحث في معناهما وتشخيص مصداقهما من الايات، بعد ان جاءت اقوال ربما تجاوزت العشرة، وهي الاتية:

اولا: ان المتشابه هو الحروف المقطعة.

ثانيا: ان المتشابه هو ما يسمى مجملا

ثالثا: ان المتشابه هو الايات المنسوخة،

رابعا: والمتشابهات ما يحتاج في معرفته الى تأمل وتدبر. (الطباطبائي، مرجع سابق: 3/ 40). وهو

رد في غاية الاحكام على من ذهب الى هذا التقسيم بين المحكم والمتشابه

خامسا: والمتشابه ما لا سبيل الى العلم به كوقت قيام الساعة ونحوه. (الطباطبائي، مرجع سابق:

77/3)



سادسا: والمتشابهات غيرها مما يصرف بعضها بعضا.

سابعا: والمتشابه ما احتمل التأويل اوجها كثيرة.

ثامنا: والمتشابه ما اشتبهت الفاظه من قصصهم بالتكرير في سور متعددة.

تاسعا: ان المتشابه ما يحتاج الى بيان والمحكم خلافه.

عاشرا: والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به.

احد عشر: ان المتشابهات هي آيات الصفات خاصة اعم من صفات الله تعالى: كالعليم والحكيم،

والخبير، وصفات انبيائه. (الطباطبائي، مرجع سابق: 77/3)

الثالث عشر: ان المحكم ما للعقل اليه سبيل والمتشابه بخلافه.

الرابع عشر: والمتشابه ما اريد به خلاف ظاهره

الخامس عشر: ان المحكم ما اجمع على تأويله والمتشابه ما اختلف فيه

السادس عشر: ان المتشابه ما اشكل تفسيره لمشابهته غيره، سواء اكان الاشكال من جهة اللفظ ام من

جهة المعنى (الطباطبائي، مرجع سابق: 41/3)

والسيد العلامة الطباطبائي افاد ان معنى المتشابه - بعد ان تعرض للاقوال في المتشابه وانهاها الى

سنة عشر قولاً في بيان معنى المتشابه - قال: "وَأَنَّ الَّذِي تَعَطِيهِ الْآيَةُ فِي مَعْنَى الْمُتَشَابِهَةِ؛ أَن تَكُونَ الْآيَةُ

مَعَ حِفْظِ كَوْنِهَا آيَةً دَالَّةً عَلَى مَعْنَى مُرِيدٍ مُرَدَّدٍ، لَا مِنْ جِهَةِ الْفَرْقِ بَحِثِ تَعَالُجِ الطَّرِيقِ الْمَالُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ

اللسان، كَارْجَاعِ الْعَامِّ وَالْمُطْلَقِ إِلَى الْمَخْصَصِ وَالْمَقِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ مَعْنَاهَا غَيْرَ مُلَائِمٍ

لِمَعْنَى آيَةٍ أُخْرَى مُحْكَمَةٍ لَا رَيْبَ فِيهِ تَبَيَّنَ حَالُ الْمُتَشَابِهَةِ" (الطباطبائي، مرجع سابق: 41/3). وهذا التعريف

جيد جداً وهو اصح هذه التعاريف؛ وذلك لأن المعنى قد يكون واضحاً بحسب دلالة الالفاظ، وأن المعنى

يتحصل من الالفاظ، ولكن هذا المعنى مع وضوح دلالة اللفظ عليه ألا أن المعنى فيه ريب. وتوضيح راي

العلامة الطباطبائي أن بعضهم اعتبر أن المتشابه هو ما كانت دلالة لفظه على المعنى غير واضحة، أو

تردد اللفظ بين عدة معاني واحتمالات، والمحكم هو ما كانت دلالة الالفاظ على معانيها واضحة والمعنى

المقصود واضحاً، مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (سورة البقرة: 43)، فإن دلالة اللفظ على المعنى وهو طلب فعل

الصلاة واضح ولا اجمال أو تردد فيه، فتكون هذه الآية من المحكم، أما مثل الحروف المقطعة حيث أن

دلالاتها على المعنى غير واضح، وتردد هذه الحروف بين عدة معاني فتكون هذه من المتشابه.

3. اراء الطباطبائي بالمتشابه

ولكن السيّد العلامة الطباطبائي افاد أنّ المتشابه من الايات هو ما كان من اللفظ فيه ريب، من جهة عدم انسجام هذا المعنى الظاهر مع الايات القرآنية الاخرى، ولنضرب لذلك مثالين: * المثال الاول: فقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الانعام: 103)، فهذه الاية تقرّ بأنّ الذات المقدسة لا يمكن ان يقع عليها البصر، لا من جهة مانع يمنع من الرؤية بل ذاته لا يقع عليها البصر ويمتتع رؤيته لذاته، وذلك لانه ليس بماديّ حتّى يرى، فهي تدلّ على تجرّده عن المادّة ولوازم المادّة فلذلك لا يكون قابلاً للرؤية. (العالى، 2018)

هذه هي جملة الاراء التي عرض لها المفسّر في سياق مناقشة المحكم والمتشابه، وقد لا يكون من الضروري والمناسب ان نعرض لجملة المناقشات التي عرض لها المفسّر، وانما قد يكون من الضروري ان نتعرّف الى خلاصة الراي، ومن ثم معرفة ما اذا كان المفسّر قد اضاف جديدا، سواء في الراي، ام في اصابة الحق فيما ادعى انه الحق الحقيقي في منهجه، طالما هو قد ابعد التاويل عن المتشابه وردّه الى الاصول المسلّمة، وهذا ما ينبغي ان يكون موضع اهتمام الباحثين في علوم القرآن، لكونه رايا جديدا لم يسبق لاحد المفسرين ان عرض له على هذا النحو من خلال التأسيس للمتشابه والمحكم معا، على اعتبار ان الكتاب كله هو مخصوص بالتاويل، فيكون المحكم مساويا للمتشابه في هذا الامر، بعد ان كان المحكم عند المفسرين غير ملحوظ فيما ادّعى له تاويلا او اغتربوا في تفسيره تاصيلا، فكان للطباطبائي موقفه المتميز فيما عرض له في منهجه القرآني، حيث رأى ان الايات ذاتها تنقسم الى محكم ومتشابه، وذلك من جهة اشتمال الاية وحدها على مدلول متشابه وعدم اشتمالها. هذا فضلا عما راه المفسّر من تاويل للمحكم والمتشابه معا في سياق ام الكتاب، او ما سماه المفسّر بالاصول المسلّمة. ولعلنا لا نجانب الصواب ان قلنا بان المفسّر قد اجاد وافاد فيما عرض له لجهة وجود المتشابه في القرآن والاسباب الموجبة له، وهذا ما تفيدّه حقيقة المقابلة بين المحكم والمتشابه، والتي تدلّ على ان حقيقة الرجوع للمتشابه انما هي رجوع بيان ليس الا. على اعتبار ان الاحكام والتشابه هما وصفان يقبلان الاضافة والاختلاف بالجهات، بمعنى ان اية ما يمكن ان تكون محكمة من جهة، ومتشابهة من جهة اخرى، على انه من الضروري الإشارة الى ان احدا من المفسرين لم يلتفت الى هذا الوجه عند الطباطبائي، وقد يكون المانع من ذلك هو ملاحظة المتشابه فيما اعتبروه تاويلا، فاخرجوا المحكم لكونه لا يحتاج الى تاويل، فال الامر الى ان يكون المحكم في جانب والمتشابه في جانب اخر فاستحال الرجوع، واتسع الخرق وعجز الراقق!! (هنديجاني فرد، 2013م)

وانطلاقا مما تقدم، فانه يمكن ان نشير الى شيء من التطبيق الذي عرض له الطباطبائي في سياق رد المتشابه الى المحكم على النحو الذي يفيد النفي والاثبات معا، وهذا ما عرف عن الائمة المعصومين



(عليهم السلام)، الذين ارتكز الطباطبائي الى نصوصهم فيما رد به على وجوه الاراء، ومن جملة هذه النصوص ما روي عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه: 7)، ان الله تعالى وصف بذلك نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه من غير ان يكون العرش حاملا له، ولا ان يكون حاويا له، فهو حامل العرش، ونقول من ذلك ما قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (سورة طه: 5). يقول الطباطبائي: قوله (عليه السلام) ثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته، اشارة الى طريقة اهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الايات المتشابهة في القرآن مما يرجع الى اسمائه وصفاته وافعاله واياته الخارجة عن الحسّ بارجاعها الى المحكمات، ونفي ما تنفيه المحكمات عن ساحته تعالى، واثبت ما ثبت بالاية، وهو اصل المعنى المجرد عن شائبة النقص والامكان التي نفاها المحكمات.. ولا شك في ان المفسّر بهذا المثال قد اوضح معنى ان يكون المتشابه راجعا الى المحكم في النفي والاثبات معا، خلافا لمن ذهب بالمتشابه الى حد التاويل او الى حد التعطيل او التجسيم، او التشبيه الى غير ذلك مما استكانت له الفرق الاسلامية في تاريخها. ان هذه الفرق، على اختلافها في المنبت والمذهب والتاويل، كانت تذهب في التاويل، او في التفسير على راي من يذهب الى التمييز بينهما، اما الى الاثبات، واما الى النفي. (الطباطبائي، مرجع سابق: 14 / 129) اما الطباطبائي فيما اقتبسه عن اهل البيت (عليهم السلام) فهو ينفي ويثبت بمقتضى رد المتشابه الى المحكم، فاذا كان المتشابه يقول بالاستواء على العرش، فان المحكم ينفي الاستواء بالمعنى المادي، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى: 11) وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (سورة الصافات: 159) هذه الايات تنفي الجسمية وخواصها عنه تعالى. ومما تجدر ملاحظته هنا، هو ان الطباطبائي اخذ على الصحابة والتابعين ما كانوا يرجعون اليه، سواء في النفي، ام في الاثبات، فهو يرى انهم في غير الاحكام والمعارف من الدين مما يرجع الى اسمائه وصفاته وافعاله وغيرها، انهم ينفون عنه تعالى لوازم التشبيه بما ورد من ايات التنزيه ويسكتون عن المعنى الاثباتي الذي يبقي بعد النفي ولكن هذا مدفوع بان طريقة ائمة اهل البيت (عليهم السلام) الماثورة عنهم هي الاثبات والنفي معا، والامعان في البحث عن حقائق الدين دون النفي المجرد عن الاثبات والدليل على ذلك ما حفظ عنهم من الاحاديث، فلترجع في مظانها (الطباطبائي، مرجع سابق: 14 / 128).

فالمفسّر لم يتجاوز هذه الطريقة، بل استفاد منها الى حد ان بحوثه الروائية في الميزان، تنطوي على كثير من الاستدلالات التي هي باهمية تفسير الميزان، بل هي ميزان اخر في التفسير، وتحتاج الى منهجية جديدة للخروج بنتائج هائلة تنطوي عليها هذه البحوث الروائية، وخاصة في مجال الاستفادة من الروايات



التي استدلت بها المفسر على المحكم والمتشابه في القرآن، ونكاد نقول على سائر علوم القرآن، لكون المفسر في تظهير منهجيته الجديدة اعتمد على البحوث الروائية، حيث نجد اصراره على غرر الاحاديث التي تثبت ان التفسير هو غير التاويل الذي يذهب اليه الكثير من المفسرين، الى غير ذلك من المسائل التي اعتمدها المفسر لتسويغ اطروحة ان القرآن والقرآن وحده هو محور حركة الوجود، ولا يسع الانسان الا ان يستفيد من منهجه للكشف عن ابحار الحقائق التي لا تزال مغمورة في عالمي التكوين والتشريع معا. لذلك، نرى ان المفسر فيما يتعلق بالمحكم والمتشابه يعود قرونا الى الوراء لاثبات حقيقة ان الصحابة والتابعين لم يفلحوا في الاستفادة المطلوبة من القرآن، بل اخفقوا لانهم لم يرجعوا الى القرآن والناطقين به حقيقة ليعرفوا ان ما نفوه كان يفترض فيهم ان يثبتوه ليصح القول منهم انهم يرجعون بالمتشابه الى المحكم، وهم حينما اخفقوا في هذا الامر سرى ذلك بهم الى سائر علوم القرآن، وخاصة الى الناسخ والمنسوخ، على اعتبار ان الايات هي متقابلة بين محكم ومتشابه وليست متقابلة بين ناسخ ومنسوخ، او مكي ومدني، او غير ذلك مما لا بد منه لفهم القرآن الكريم. (الطباطبائي، مرجع سابق: ١٤ / ١٢٩)

ان المفسر ياخذ على اصحاب المذاهب سكوتهم عن الاثبات بعد النفي بسبب اختلال الرؤية والموقف فضلا عن المنهج في معنى المحكم والمتشابه، (هنديجاني فرد، 2013م) فالمفسر يرى ان الذي دعاهم الى هذا الامر، هو ان الثابت بعد المنفي خلاف ظاهر اللفظ فيكون من التاويل الذي حرم الله ابتغاءه في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغَاءَ تَاْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ اِلَّا اللّٰهُ﴾ (ال عمران: 7). بناء على الوقف ﴿اِلَّا اللّٰهُ﴾ (ال عمران: 7)، بل تعدى بعضهم الى مطلق التفسير فمنعه على قاعدة ان من فسّر فقد اّول، ومن لم يفسّر لم يؤّول، لان التاويل هو التفسير، يقول الطباطبائي: «لقد تقدم الكلام في المحكم والمتشابه بيان ان التاويل الذي يذمه تعالى غير المعنى المخالف لظاهر اللفظ وان رد المتشابه الى المحكم وبيانه به ليس من التاويل في شيء وكذا ان التاويل غير التفسير ... (الطباطبائي، مرجع سابق: 130/14 - 131)

يبقى ان نقول: ان المفسر فيما ذهب اليه في بيان معنى المحكم والمتشابه مؤسس على الكتاب والسنة القطعية والا كان الامر تفسيراً بالرأي. وعليه، فان معنى رد المتشابه الى المحكم لا يكون فقط فيما نثبتته من اسماء وصفات وافعال، وانما يكون ايضا فيما ننفيه، لان المحكم وظيفته ان تبقى للاسماء معانيها المجردة في حدود ما تبينه المحكمات. اما ان يكتفي البعض في رد المتشابه الى المحكم من خلال سلوك طريق التاويل، وكذلك مما يمكن ان يؤدي الى الخروج بالبحوث عن سياقاتها، وخصوصا في فهم الكتاب العزيز والسنة النبوية، هذه السنة الكاشفة والمبينة هي التي مكّنت المفسر من ولوج التفسير والتاويل معا، (هنديجاني فرد، 2013م) ولو ان اهل الاراء سلكوا هذا السبيل، سبيل النفي والاثبات لبلغوا المرام، ولكنهم



اكتفوا بالاثبات، فقالوا بالعلم انه عدم الجهل، فعطلوا الذات والاسماء والصفات عن معانيها، ومن خرج منهم الى التاويل فسرها بمعان مخالفة للظواهر من كل ما احتمله عقل او نقل، ما ادى الى ان يكون المتشابه اكثر تشابها، والمحكم غير مؤول ولا مفسر، فكانوا حيارى في زلزال من الامر وفي بلاء من الشك، كما هو حال اكثر الفرق الاسلامية، وقد عرض الطباطبائي لبعضها في تفسير الميزان، (السيوطي، مرجع سابق: ٢ / ٥) امثال الطائفة المقووضة، او الطائفة المسماة بالمؤولة، وكما يقول المفسر: ولقد عرفت فيما مر ان حمل الآية على خلاف ظاهرها لا مسوغ له ولا دليل يدل عليه. ان الكتاب لم ينزل الغازا وتعمية، ثم الحديث فيه محكم ومتشابه كالقران وابقاء المتشابه في القران على ظاهره بالاستناد الى ظاهر مثله الوارد في الحديث، هو في الحقيقة رد لمتشابه القران الى متشابه الحديث، وقد امرنا برد متشابه القران الى محكمه.

وختاما يمكن ان نقول ان العلامة الطباطبائي قدم جديده في المحكم والمتشابه، وقد اثبت ان القران يُعني عن كثير من الوسائل والطرق التي اتبعها القوم، ولو ان اهل التفسير سلكوا طريق القران وارجعوا المتشابه الى المحكم، لاكتشفوا الكثير من الحقائق ولكنهم اولوا الايات والاحاديث واعتمدوا الراي فضل الكثير منهم عن سواء السبيل، وعظم الخطب، واستبد الشك وكان ما كان مما لا طائل من ذكره، ولا تعويل على معرفته.

4. المتشابه عند مدرسة اهل السنة والجماعة

لقد وقف ابن عاشور على بعض الموضوعات التي تتعلق بالمحكم والمتشابه وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران: ٧)

وكان اول تلك الموضوعات هو المراد بالمتشابه في الآية الكريمة مما حدا بنا لان نعرض لاراء العلماء في ذلك. والتي عرض لبعضها ابن عاشور كما سيأتي. لنناقش اراء ابن عاشور في ضوءها، فوقفنا على احد عشر قولاً في ذلك نبسطها على النحو الاتي:

الاول. ان المتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في اوائل السور وينسب هذا ال اري الى اهل السنة على انه هو المختار عندهم.

الثاني. المتشابه المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به، وهو قول قتادة والربيع والضحاك والسدي. (الزرقاني،

(1986: 272/2)



الثالث . المتشابه فهو ما احتمل من التأويل اوجها متعددة، وهذا ما قال به الشافعي واحمد في رواية عنه ويعزى هذا ال اري الى ابن عباس ويجري عليه اكثر الاصوليين .
الرابع . المتشابه القصص والامثال .
الخامس . المتشابه ما تكررت الفاظه كالقصص تروى بالفاظ مختلفة مع وجود التشابه .
(حامد، ١٩٩٠م: 252)

السادس . المتشابه ما احتاج اليه، وهو قول احمد في رواية عنه .
السابع . ما روي عن ابن عباس قوله: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به، والمتشابهات منسوخة ومقدمة ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به .
الثامن . المتشابه بخلاف المحكم كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان .
التاسع . المتشابه مالا يدرك الا بالتأويل .
العاشر . المتشابه فما كانت دلالاته غير ارجحه وهو المجمل والمؤول والمشكل ويعزى هذا الراي الى الامام الرازي واختيار كثير من المحققين .
الحادي عشر: المتشابه هو الذي جعله عز وجل على صفة تشبته على السامع من حيث خرج ظاهره عن ان يدل على المراد به لشيء يرجع الى اللغة او التعاريف (الرازي، ١٤٢٠ هـ: ٧/١٨٢) .
وراي ابن عاشور بين تلك الآراء عن هذا الموضوع المتشابه فقد ذكر انه اطلق في الآية على خفاء الدلالة على المعنى .

اراء ابن عاشور في المتشابه

وقد ارجع ابن عاشور صفة الاحكام والتشابه الى الفاظ الآيات وبين ان المتشابهات تدل على معان تشابهت في صحة القصد اليها اي لم يكن بعضها ارجح من بعض او يكون معناها صادقا بصورة كثيرة متناقضة، او غير مناسبة لان تكون مرادا ومن الجدير بالذكر ان ما اختاره ابن عاشور كان اراء الجمهور من العلماء .

وهو مذهب الرازي كما بين هو اذ كان قد عرض لثلاثة من اراء العلماء
و ثالثهما: هو راي للجمهور، وقد تضمن مذهبين: احدهما: ان المتشابه ما استأثر الله بعلمه. (ابن عاشور، 1984: ٣/١٤)



ثانيهما: - ا: ان المتشابه خفيها وهذا الاخير هو الذي اطلقه ابن عاشور في مطلع حديثه وهو فيما يبدو لنا ارجح تلك الراء واشملها علما ان الكثير من تلك لم تكن متباعدة فيما بينها الى درجة بعيدة ومع ذلك فلا يمكن التسليم بها كلها، ذلك ان بعضا من تلك الراء يشوبها الابهام، وبعضها غير مانع اذ يدخل الخفاء على المحكم او جامع بادخاله القصور على نوع واحد) (الزرقاني، 2: 1970/ ١٧١ . (١٧٢)

ويرجع سبب ترجيحنا لهذا الراي هو ان امر الاحكام والتشابه يرجع فيما نفهم الى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه والى عدم وضوحه، وهذا التعريف جامع مانع من هذه الناحية، اذ لايدخل في المحكم ما كان خفيا ولا في المتشابه ما كان جليا لانه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاء تاما في بيان تقسيمه الذي بناه على ارجح ومرجوح والذي اعلن لنا منه ان الارجح ما كان واضحا لاختفاء فيه، وان المرجوح ما كان خفيا لاجلاء فيه (الزرقاني، المصدر نفسه: ٢ / ١٧١ - ١٧٢)

فيما بقي هناك موضوع اخر اضافه ابن عاشور وتميز به عن غيره ممن خاضوا في هذا الموضوع، فبعد ان بين معنى المحكم والمتشابه بين مراتب التشابه في القرآن . الكريم، وقد كان ذلك بطريقة الاستقرار فجعلها عشر مراتب باعتبارات مختلفة، اذ ان بعضها ازلت عنه صفة التشابه او بمعنى اخر ان تشابهها كان مقتصرًا على طائفة، او فترة زمنية ازلت بزوالها (ابن عاشور، مرجع سابق: ١٤/٣)، اما نحن اليوم . فيما يبدو لي . فليس لنا ان نعدّها من المتشابه، ولا بد من الإشارة الى ان ترتيب ابن عاشور لتلك المراتب لم يكن على اساس درجة الخفاء والظهور وهذا ظاهر للعيان، اذ اننا قد نجد مرتبة اشد خفاء من سابقتها او بالعكس، ويتجلى كلامنا السابق واضحا عند عرض تلك المراتب كما عرضها ابن عاشور، علما اننا سنتبع بعضها بتعليقات توضيحية نبين فيها تطبيقا عمليا لما قدمنا له عن هذه المراتب وذلك على النحو الاتي:

اولاها: معان قصد ايداعها في القرآن وقصد اجمالها، اما لعدم قابلية البشر لفهمها او لعدم قابلية بعضهم في عصر او جهة ومن هذا احوال يوم القيامة وبعض شؤون الربوبية كالاتيان في ظل من الغمام وما شابهها.

ثانيتهما: معان قصد اشعار المسلمين بها، وتعين اجمالها مع امكان حملها على معان معلومة بتاويلات كحروف اوائل السور ونحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه: ٥)





ثالثتها: معان عالية ضاقت عن ايفاء كنهها اللغة الموضوعية لاقصى ما هو متعارف اهلها فعبير عن تلك المعاني باقصى ما يقرب معانيها الى الافهام، وهذا مثل اكثر صفات الله نحو: الرحمن، الرؤوف، وما يماثلها

رابعتها: معان قصرت عن الافهام في بعض احوال العصور وادعت في القران ليكون وجودها معجزة قرانية عند اهل العلم في عصور قد يضعف فيها ادراك الاعجاز النظمي كما في قوله تعالى: ﴿وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة يس: ٣٨) وما شابها وهذا هو الذي سبق ان قلنا انه كان متشابها لفترة زمنية ثم ازل بزوال تلك الفترة واكتشاف الحقيقة العلمية التي اشارت اليها الآية الكريمة.

خامستها: مجازات وكنائيات مستعملة في لغة العرب الا ان ظاهرها اوهم معان لا يليق الحمل عليها في جناب الله تعالى لأشعارها بصفات تخالف كمال الالهوية، وتوقف فريق في حملها تنزيها نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (سورة الطور: ٤٨)

سادستها: الفاظ من لغات العرب لم تعرف لدى الذين نزل القران بينهم قريش والانصار، مثل قوله تعالى: ﴿وَفَالِكِهٖٓ وَآبَا﴾ (سورة عبس: ٣١)

وغيرها من الايات، وهذا هو الذي عنياه بقولنا ان بعض المتشابه كان مقتصرًا على طائفة معينة سابعتها: مصطلحات شرعية لم يكن للعرب علم بخصوصها، فما اشتهر منها بين المسلمين معناها صار حقيقة عرفية كالتيمة والزكاة وما لم يشتهر بقي فيه اجمال كالربا، قال عمر: نزلت ايات الربا في اخر ما نزل فتوفي رسول الله (ص) ولم يبينها (الاركي، 2004: 17)

ثامنتها: اساليب عربية خفيت على اقوام فطنوا الكلام بها متشابها، وهذا مثل زيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى: ١١)

ومثل المشاكلة في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (سورة النساء: ١٤٢) فيعلم السامع ان اسناد خادع الى ضمير الجلالة اسناد بمعنى مجازي اقتضته المشاكلة.

تاسعتها: ايات جاءت على عادات العرب فهمها المخاطبون وجاء من بعدهم فلم يفهموها فطنوها من المتشابه، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (سورة البقرة: ١٥٨)

فقد استشكل على عروة بن الزبير فهم فرضية السعي بين الصفا والمروة من هذه الآية، ومنشأ اشكاله هو ان الآية نفت الجناح ونفي الجناح لا يتفق وفرضية السعي، وبقي في اشكاله حتى سال خالته





عائشة "رضي الله عنها" فافهمته ان نفي الجناح هنا ليس نفيا للفرضية وانما هو نفي لما وقر في اذهان المسلمين يومئذ من ان السعي من عمل الجاهلية،
واقول: ان هذه المرتبة من المتشابه تتعلق بأشخاص محددين نستطيع ان نقول انهم لم تتوفر لديهم ق ارنن الاحوال للوقوف على المعنى الحقيقي، وهذا في الحقيقة لايقاس عليه لانه اذا كان متشابها في حق اناس فانه اشد وضوحا في حق اخرين
عاشرتها: افهام ضعيفة عدت كثيرا من المتشابه وما هو منه، وذلك افهام الباطنية وافهام المشبهة (ابن عاشور، 1984: ٣ / ١٤)

وبعد ان عد ابن عاشور مراتب التشابه تلك جنح الى بيان ما استثنى من تلك الواجهة، اذ يوجد في القرآن الكريم آيات لايمكن الوقوف على حقيقتها ومع ذلك لم يعدها ابن عاشور من المتشابه، وحددها في ثلاثة انواع:
النوع الاول: ما صرح فيه النص الكريم باننا لانصل الى علمه كقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (سورة الاسراء: ٨٥)

النوع الثاني: ما صرح فيه بجهل وقته كقوله تعالى ﴿لَا تَأْتِيكُمُ الْآبَغَةُ﴾ (اعراف: 187)
النوع الثالث: ما دل على معنى يعارض الحمل عليه دليل اخر منفصل عنه، لان ذلك يرجع الى قاعدة الجمع بين الدليلين المتعارضين او ترجيح احدهما على الاخر مثل قوله تعالى خطابا لابليس (ابن عاشور، 1984: ٣ / ٢٣) ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ سِنطُغْتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ (الاسراء: 64)
والذي يبدو لي ان تحديد ابن عاشور هذا مبني على اساس ان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه كما سيأتي. اعتمادا على الآية الكريمة فيكون كل ما استأثر الله تعالى بعلمه بحيث لا يكون في مقدور البشر الوقوف عليه فهو ليس من المتشابه، بل يكون المتشابه درجة ما بين ما ذكرنا وبين الاحكام اختص بمعرفته الا الراسخون في العلم. وقد ارجع ابن عاشور ملاك التشابه الى عدم التواطؤ بين المعاني واللغة، اما لضيقها عن المعاني، واما لضيق الافهام عن استعمال اللغة في المعنى، واما لتناسي بعض اللغة، فيبين لك ان الاحكام والتشابه صفتان للالفاظ باعتبار فهم المعاني.

الخاتمة

راي مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) في المتشابه





يقول الطباطبائي، ان المتشابهات انما هي الايات من حيث اشتمالها على الملاكات والمعارف دون متن الاحكام والقوانين الدينية.

المتشابه ما اشكل تفسيره سواء اكان الاشكال من جهة اللفظ ام من جهة المعنى. ان المتشابهات هي ايات الصفات خاصة اعم من صفات الله تعالى: كالعليم والحكيم، والخبير، وصفات انبيائه. والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به اما عن رأي مدرسة اهل السنة والجماعة في المتشابه ان المتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في اوائل السور وينسب هذا الرأي الى اهل السنة على انه هو المختار عندهم. المتشابه المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به المتشابه فهو ما احتمل من التاويل اوجها متعددة المتشابه القصص والامثال.

المصادر

القرآن الكريم

- [1] ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن اب ابراهيم بن ابي بكر. (1990). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، المحقق: احسان عباس بيروت: دار صادر.
- [2] ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر.
- [3] ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة، ط1، تح: عبد السلام هارون، مصر: دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع.
- [4] ابن قتيبة. (1954). تاويل مشكل القرآن، تح: احمد صقر، ط1، القاهرة: دار احياء الكتب العربية.
- [5] ابن منظور. (1984). لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- [6] الاركي، عمررحمن جميد. (2004). مباحث علوم القرآن في تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد.
- [7] اسماعيل، محمد بكر. (1999م). دراسات في علوم القرآن، ط2، لبنان: دار المنار.
- [8] بيروت: الجمعية اللبنانية.
- [9] الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1988). فنون الافنان في عيون علوم القرآن، ط1، بيروت: دار البشائر ..
- [10] حامد، ابو زيد نصر. (1990). مفهوم النص-دراسة في علوم القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية





العامّة للكتاب.

- [11] الرازي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. (١٤٢٠ هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، بيروت: دار احياء التراث العربي.
- [12] الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف. (١٤١٢ هـ). المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، الدار الشامية.
- [13] الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (2003م). دراسات في علوم القرآن الكريم، ط2، بيروت: دار العلم.
- [14] الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1970م). مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- [15] الزمخشري، ابو القاسم جاز الله محمود بن عمر بن احمد. (١٩٩٨ م). اساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- [16] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر. (1974م). الاتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد ابو الفضل ابراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- [17] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1999). ارشاد الفحول الي تحقيق الحق من علم الاصول، المحقق: الشيخ احمد عزو عناية، ط1، دمشق: دار الكتاب العربي.
- [18] الشيرازي، ناصر مكارم. (2007). الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، بيروت: مؤسسة الاعلمي.
- [19] الطباطبائي. (1417هـ)، الميزان، طهران: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
- [20] الطريحي، الشيخ فخر الدين. (2009). المحقق: السيد احمد الحسيني، طهران: انتشارات مرتضوي، طراوت.
- [21] العالي، الشيخ محمود حسن، المتشابه في القرآن، مجلة رسالة القلم، العدد58، <https://www.ralqalam.com/article>
- [22] القيعي، محمد عبد المنعم. (1996). الاصلان في علوم القرآن، ط4، القاهرة: دار المعارف.
- [23] هنديجاني فرد، الشيخ عارف. (2013). علوم القرآن عند العلامة اية الله السيّد محمد حسين الطّباطبائيّ (قده)، ط1.

